الحجب الذاتية
في طريق الكمال الانساني

The Self-Imposed Veils on the Path to Human Perfection

م.م. طالب حسين شرهان
مديرية تربية ذي قار / إعدادية شهداء الشطرة للبينين

Assistant teacher: Talib Hussein Sharhan
Dhi Qar Education Directorate
Shuhada Al-Shatra Preparatory School for Boys
Email: Alsumary80@gmail.com

ملخص البحث:

ان هـذا البحـث وعنوانـه (الحجـب الذاتيـة في طريـق الكـمال الانسـاني) يبـين في مسـعاه العوامـل التـي تكّـون الحجـب والموانـع في طريـق الانسـان نحـو الكـمال الـذي هـو الغايـة الحقيقيـة مـن خلقـه والهـدف الأسـمى لـه, وقـد وردت في آيـات الكتـاب الحكيـم والروايـات الكثـير مـن المفاهيـم التـي تحـذر الانسـان مـن تلـك الحجـب وتوضـح الطريـق الصحيـح لتجنبهـا. فـكان هـذا البحـث هـو تبيـان بسـيط لأهـم تلـك الحجـب التـي تكـون عائقـاً في طريـق الانسـان نحـو الكـمال والتعـرف عليهـا لأنهـا تعتـبر الخطـوة الأولى في هـذا الطريـق الـذي يعـد الهدف الرئيـسي لإرسـال الرسـل والأنبيـاء (عليهـم السـلام) وإحيـاء الأنفـس بلقـاء اللـه جـل وعـلا وتوجيههـا نحـوه كي تكـون ذاكـرة شـاكرة في حركاتهـا وسـكناتها. وكان الهـدف الاسـاسي لإختيـار هـذا العنـوان هـو لإضافـة مصـدر جديـد في مفهـوم الموانـع والحجـب التـي تقـع ضمـن حـدود ومسـؤولية الانسـان نفسـه وغـير خارجـة عـن طـوع ارادتـه مـن خـلال اسـتقصاء واسـتعراض مـا ورد مـن آيـات الذكـر الحكيـم وكذلـك الروايـات والاحاديـث الشريفـة في كتـب الـشروح الحديثيـة وآراء العلـماء في مؤلفاتهـم. وقد

توصل البحث الى نتائج ومكتسبات معنوية خاصة للباحث اثناء استقصاء مصادر هذا البحث وكتابتها في اطلاعه على العديد من المعارف الروحية. وبالنسبة للنتائج العامة فقد توصل البحث الى ان ذات الانسان هي المصدر الأول في تكوين الحجب.

الكلمات المفتاحية: الحُجُب , الذات , الكمال.

Summary:

This research, titled "The Self-Imposed Veils on the Path to Human Perfection" illustrates the factors that constitute the veils and obstacles in a person's journey towards perfection, which is the true purpose of their creation and the highest goal for them. Many concepts warning humanity about these veils and clarifying the correct path to avoid them are found in the verses of the Holy Book and in narrations. The primary goal of choosing this title is to add a new source to the concept of obstacles and veils that fall within the limits and responsibilities of the individual, not outside the realm of their will, by investigating and reviewing the verses of the Holy Scripture as well as the narrations and honorable hadiths in the books of hadith explanations and the opinions of scholars in their writings. The research reached specific spiritual insights and gains for the researcher during the exploration of the sources of this study and in writing it, gaining exposure to many spiritual knowledge. As for the general conclusions, the research found that the self of the human being is the primary source of forming the veils.

Keywords: Veils, Self, Human Perfection.

المقدمة:

الحمد لله الذي احتجب بشعاع نوره عن نواظر خلقه, وتسربل بالجلال والعظمة, واشتهر بالتجبر في قدسه, والصلاة والسلام على من أطالت عليه الفصاحة رواقها وزمت به البلاغة نطاقها وبعث بالآيات الباهرة والحجج الظاهرة وعلى آله الأخيار المنتجبين الأطهار.

ان السبيل الى الكمال وما يحتويه من استمتاع واستغراق يبعث على الطمأنينة في النفس الانسانية وبما هو متلائم مع الفطرة التي فطرها الله عليها, لا يفرغ من ان تشوبه الحجب والعقبات التي تعارضه في مواضع البلاءات والمحن؛ لذا فإنه لن ينال مراتب الكمال والقرب الالهي ان لم يتجاوزها في ذلك الطريق. وهذه البلاءات غالباً ما يكون منبعها الرئيسي هي الحجب الذاتية لدى الانسان والتي تؤول الى عدم تقبل النفس الانسانية للفيوضات الربانية نتيجة لما يتملك فيها من آثار تراكمية قد تكون جوانحية او جوارحية, وهو ما يسمى لدى اهل المعرفة والأخلاق (حجب الظلمة

والنـور), فمـا ورد في الروايـات «ان للـه سـبعين ألـف حجـاب مـن نـور وظلمـة لـو كشـفها لأحرقـت سـبحات وجهـه مـا انتهـى إليـه بـصره مـن خلقـه»[1].

ومـا بـين المسـيرة الانسـانية نحـو الكـمال والعوائـق التـي تعـترض ذلـك الطريـق جـاء هـذا البحـث ليبـين أهـم تلـك العوائـق عـن طريـق الآيـات القرآنيـة والروايـات المحـددة في منظورهـا مـن كتـب التفاسـير والروايـات فـكان البحـث تحـت هـذا العنـوان: الحجـب الذاتيـة في طريـق الكـمال الانسـاني.

وقـد اقتـضى ان يكـون منهـج البحـث وحـدوده يـدور في تمهيـد وخاتمـة ونتائـج ومـا بينهـا مبحثـين أساسـيين, وفي كل مبحـث مطالـب عـدة, ولأهميـة التعريـف بالمفاهيـم الأساسـية للبحـث فقـد افردنـا المبحـث الأول تحـت هـذا المضمـون فـكان عنوانـه (التعريـف اللغـوي والاصطلاحـي لمفاهيـم البحـث), وقـد انضـوى عـلى مطلبـين: الأول في مفهـوم الحجـب الذاتيـة في اللغـة والاصطلاح, والثـاني في مفهـوم الكـمال الانسـاني.

وأمـا المبحـث الثاني والموسـوم: (أهـم الحجب الذاتيـة في طريـق الكـمال الانسـاني), فقـد اشـتمل عـلى اربعـة مطالـب, المطلـب الأول كان تحـت مسـمى القابليـات والاسـتعدادات الذاتيـة, والثـاني بحثنـا فيهـا آثـار الغفلة, وفي الثالـث منـه كان في التلـوث القلبـي وأثـره في تكـون الحجـب, وفي المطلـب الرابـع منـه كان في حـب الـذات. وارجـو مـن القـارئ الكريـم ومـن تقـع في يديـه حـروف هـذا البحـث العـذر عـن مـا فيـه مـن هفـوات, فـإن كان مـا فيهـا صحيحـاً فإنمـا ذلـك بفضـل اللـه وعظيـم منـه عـليّ ان سـاقني الى هـذا التوفيـق, وان كان مـا فيهـا خاطئـاً فإنمـا ذلـك مـن نفـسي وأسـأل اللـه العفـو والمغفـرة, وغايـة مـا اتمنـاه ان أوفـق في هـذا العمـل وان يكـون ذا حضـوة وقبـول عنـد رسـول اللـه (صـلى اللـه عليـه وآلـه) والأئمـة الكـرام الميامـين (عليهـم افضـل الصـلاة وأتـم التسـليم).

المبحث الاول:

التعريـف اللغـوي والاصطلاحـي لمفاهيـم البحـث

توطئة:

مـما لا يخفـى عـلى الكثـير ان الدلالـة اللغويـة للمفـردة يعتـبر مـن الابـواب ذات الأولويـة المهمـة لمـا يترتـب عليهـا مـن الافهـام المتعلقـة بهـا, والتـي تـؤدي الى آثـارٍ صحيحـة لإسـتعمالات تلـك المفـردات في مـا يتحـدد بهـا مـن مفاهيـم؛ لأن الخطـاب البـشري ينحـصر عـلى تلـك المفـردة التـي تنطـوي عـلى معـانٍ عـدة لإسـتعمالات متعـددة؛ لذلـك كانـت معرفـة هـذه الألفـاظ والمفـردات مـن الضروريـات التـي لابـد منهـا.

والتزامـاً منـا لحكمـة البـاري جـل وعـلا في نـزول القـرآن الكريـم مشرِّفـاً اللغـة العربيـة والتـي لا يعلـم هـذه الحكمـة إلا هـو جـل

وعلا حين شاء من هذه اللغة ملازمتها لمفاهيمه وكمصدر أول من مصادر الاعجاز فيه, وكما دأب علماؤنا الأجلاء في نهجهم المميز في التأليف والكتابة بالبدء بالتعاريف اللغوية والاصطلاحية للمفاهيم والمفردات؛ لذا فمن الضرورة ان نبدأ ببيان معاني الألفاظ والمفردات الاساسية الواقعة ضمن حدود هذه البحث والتي تتسق فيما بينها ضمن العنوان الرئيسي وهي: (الحجب, الذات , الكمال).

المطلب الاول: مفهوم الحُجُب الذاتية

اولاً: الحجب لغةً واصطلاحاً

1- الحُجُبْ في اللغة:

جمع حَجَبَ. وحَجَبَ: أصل واحد ومعناه المنع, فيقال حَجَبَ الشي أي منعه. ويطلق على ما يحجب بين الفؤاد والجوف بحجاب الجوف[٢]. والحجاب «اسم ما احتجب به وكل ما حال بين شيئين والجمع حُجُب»[٣]. ومثل ذلك ما ذهب إليه الفراهيدي بقوله: «الحَجْب: كل شيء منع شيئاً من شيء فقد حجبه حجباً, والحجابة: ولاية الحاجب. والحِجابُ, اسمٌ: ما حجبت به شيئاً عن شيء ويجمع على حُجُبْ. والحاجب: عظم العين من فوق يستره بشعره ولحمه»[٤]. وجاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴾[٥] يقصد به الأفق, ومعناه حتى تغيبت الشمس في الأفق واحتجبت أي استترت به. وقوله تعالى: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ﴾[٦] بمعنى المانع والحاجز بين الجنة والنار أو ان المقصود هو السور بين أهل الجنة وأهل النار, والحجاب هو المانع والحاجز. وفي وصفه تعالى (حجابه النور), إشارة الى ان حجاب الله جل وعلا مختلف عن باقي الحجب المعهودة لدى الانسان, حيث انه جل وعلا يحتجب عن خلقه بنورانية عزته وجلالته وكبريائه وعظمته اللامتناهية, وهذا هو الحجاب الذي يدهش العقول والابصار[٧].

٢- الحُجُبْ في الاصطلاح:

ورد في القرآن الكريم في معنى الحجاب في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾[٨], هو ما يحجب به جل وعلا افئدة الكافرين عن أن ينتفعوا بهداية القرآن الكريم وما يقع عليها من الرين بسبب الإصرار على الكفر والجحود والجهل, فهذا هو من الحجب المعنوية الخفية التي تحول ما بينهم والقرآن الكريم والانتفاع به, فهو يقرع اسماعهم لكن قلوبهم تجاهدهم في الامتناع من الرقة له, ويمتنعون عن الانصياع لفطرتهم بالتأثر به, فعاقبهم الله جل وعلا بأن يطبع على قلوبهم ويطمس بصائرهم على ان يتفقهوا فيه, فلذلك جعل الله حجاباً دون ادراكهم اسرار القرآن الكريم وهديه وساتراً يحول بينهم وبينه[٩].

وما ذكره المصطفوي في تعريف الحجاب: «هو الحائل الحاجز المانع عن تلاقي

شيئين أو أثرهما, سواء كانا ماديّين أو معنويين أو مختلفين وسواء كان الحاجب مادياً أو معنوياً. والحجاب بين الله المتعال والعبد لابد وان يكون معنوياً إذ هو تعالى يحتجب بالماديات ولا بالمعنويات, وأما العبد فحجابه بالنسبة إلى الله تعالى معنوي»[٠١].

مما تقدم في المعنى اللغوي للحجب هو الحاجز أو الحائل و المانع الذي يكون بين شيئين ويحجب أحدهما عن الآخر, وفي مضمون هذا البحث وتوجهاته القرآنية والروائية يتضح ان مفهوم الحجب اصطلاحاً لا يخرج عن مفهومه اللغوي.

ثانياً: الذات في اللغة والاصطلاح

١- **الذات في اللغة:**

ورد في معنى الذات لغةً «مؤنث ذو, بمعنى صاحب. فيقال: هي ذات مالٍ وذات أفنان, ومثناها ذواتا, والجمع ذوات... والذات: النفس والشخص, فيقال: جاء فلان بذاته عينه ونفسه... وذات الصدر: سريرة الانسان»[١١].

والذات هي مما يصح ان يُخبر عنه ويُعلم, فحين يقال: ذات الشيء فمعناه نفس الشيء وعينه, وكلّمته ولم يرد عليَّ ذات شفة: أي لم يرد بكلمة, و(عليمٌ بذات الصدور): ما يكون في خفاياها وما تضمره في بواطنها, وللجهات يقال: ذات اليمين وذات الشمال, ويقال فيمن يفتقر للمال: قلَّت ذات يده, وفي قولهم (اصلاح ذات بينكم) بمعنى اصلحوا جميع احوالكم التي تجتمعون فيها وفي هذه الحال تكون (ذات) بمعنى الصاحبية, وحين يقال: الذاتيَّ فهو ما ينسب الى الذات والنفس[٢١].

٢- **الذات في الاصطلاح:**

جميع ما يملكه الانسان من النعم الإلهية الداخلية الباطنية, وكل شيء في حياته, فبها ومنها يرى الحياة ومنها يتحقق له العلم والفهم, وعليها يرتكز في كلامه وتصرفه وسائر سلوكياته, وما يمكنه من استمداد وعيه وادراكاته للحقيقة وكل ما يحيط به من احداث ووقائع, فالذات الانسانية هي ارتكاز الاساسي للإنسان الحي[٣١].

وقال الراغب: «استعار اصحاب المعاني(الذات) فجعلوها عبارة عن عين الشيء جوهراً كان أو عرضاً واستعملوها مفردة ومضافة الى المضمر بالألف واللام وأجروها مجرى النفس والخاصة فقالوا ذاته ونفسه وخاصته»[٤١].

المطلب الثاني: مفهوم الكمال

اولاً: الكمال في اللغة والاصطلاح

١- **الكمال في اللغة:**

«كمل الشيء يكمله إكمالاً. والكمال التمام الذي يُجزأ منه أجزاؤه, تقول: لك نصفه وبعضه وكماله, وأكملت الشيء: أجملته وأتممته».[٥١] ويمكن استعماله في الذوات والصفات, فنقول: اكملنا الشيء إذا أتممنا أجزاؤه ومحاسنه, و أيضاً كمل الشهر اذا كمل دوره [٦١].

ويقال: كمال الشيء حين الحصول على ما

يكون الغرض منه, وحين القول (كمُل) فمعناه انه قد تحصل ما يكون الغرض منه[٧١].

٢- **الكمال في الاصطلاح:**

«هو حصول الشيء أي الموجود على جميع ما يخص ذاته وطبيعته من الصفات, فالكمال لا يكون إلا لشيء موجود, بشرط أن يكون وجوده متحققاً بالفعل لا بالقوة, فليس للمعدوم كمال, بل العدم والنقص رفيقان, والبذرة لا يكون لها كمال حين تكون شجرة بالقوة, وانما الكمال لها حين تكون شجرة بالفعل»[٨١].

«وكمال الروح انما يتحقق بالتهذيب والتزكية عن الرذائل وخبائث الصفات النفسانية حتى يترقى الى عالم التجرد والملكوت والجبروت, ويتنزه عن قيود الحيوانية ويتخلص من العلائق النفسانية»[٩١].

المبحث الثاني:

أهم الحجب الذاتية في طريق الكمال الإنساني

المطلب الأول:

القابليات والاستعدادات الذاتية

وضع الله جل وعلا حين خلق الانسان ما يؤهله للإرتباط به والقرب منه والوصول الى اعلى المراتب الكمالية, وجميع الخلق متساوون في أحقيتهم الملكية لهذه المؤهلات والمقومات في طبيعة الإيجاد, لكنها تكون مخفية في بواطنهم لعدم امتلاكهم الوسائل التي يتمكنون بها من اظهارها, وهذه القابليات «التي هي حالة يكون بها الانسان مستعداً للقبول أو الإنفعال»[٠٢] قد تولى الله جل وعلا إنماءها في الانسان بإرساله الأنبياء والرسل للتهذيب والتزكية والترقي في مراتب الكمال, وزوده بإمكانات وقدرات ووسائل جسمية ومعرفية وروحية فيها من التدبير ودقة الصانع ما يمكنه ان استثمرها بالشكل المطلوب ان يصل الى درجات رفيعة وكمالات لا متناهية, «ان الكمال غير متناهي الدرجات فكلما وصل الفرد الى درجة استحق بعمله ان يدخل الدرجة الاخرى, فإن عمل له العمل اللائق به فإنه يصل إليه لا محالة لأن الله تعالى كريم لا بخل في ساحته فلا يحجب امر المستحق عن مستحقه»[١٢].

وان خاض في غير ذلك وغير ما دُبر لها وسلك طريق المعصية والذنب فقد اهدرها في غير محلها, لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾[٢٢], والتقويم بمعنى التسوية بالشكل المناسب والكيفية اللائقة والشكل المتوازن من كافة الجهات الجسمانية والروحانية والعقلانية, حيث أودع فيه اشكال متعددة من الكفاءات المختلفة وهيئه للتدرج في سلم الكمالات ورغم صغر حجمه إلا أنه اختزل فيه العالم الاكبر و الطاقات التي تجعله يليق بمقام التكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾[٣٢], ورغم ذلك فإن

هـذا الانسـان الـذي احسـن اللـه خلقـه ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾[٤٢], بـكل الامتيـازات التـي فيـه يتـدارك الى اسـفل السـافلين بإنحرافـه عـن المسـيرة الالهيـة المقـدرة لـه فخلال المنحنيات الصعودية[٥٢] لتكامـل الانسـان هنـاك ايضـاً منحنيـات نزوليـة فظيعـة جـداً, ولا ريـب في ذلـك ابـداً[٦٢].

ونلاحـظ ان الانسـان مؤثـر فعـال في ما يحيط بـه مـن مخلوقـات والعكـس صحيـح ففـي قولـه تعـالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴾[٧٢], يذكـر السـيد الشـهيد الصـدر «ان مـن المعـاني التـي يـراد بهـا الـرب في هـذه الآيـة هـو الكـمال المطلق وكل الخلـق سـائر للكـمال المطلـق بطبعـه بمـا فيـه الانسـان وكل الخلـق كادح لـه, أي: كادح للكـمال المطلـق, وليـس انسـان كادحـاً خاصـةً الى الكـمال المطلـق, بـل هـو القـدر المتيقـن مـن الكـدح الى الكـمال المطلـق؛ لأنـه الى حـد مـا يمكـن القـول ان انسـان واعٍ لذلـك وفاهـم لـه بالعلـم الحضـوري والحصـولي, وليـس بالعلـم الحضـوري فقـط. وأمـا الحيـوان والنبـات والمـواد وغـير ذلـك فهـي واعيـة لذلـك بالعلـم الحضـوري دون الحصـولي ومـع ذلـك فهـي كادحـة للكـمال المطلـق»[٨٢].

لـذا كان الطريـق الى الكـمال ودرجـات القـرب الالهـي رهـن هـذه القابليـات واسـتعمالاتها ويتجـلى ذلـك في قولـه تعـالى: ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴾[٩٢], حـين تتضـح قابليـات الانسـان بصـورة غـير محـدودة وميـازه عـن غـيره مـن المخلوقـات, والتـي إن اسـتخدمها بالشـكل المناسـب اسـتطاع الوصـول الى اعـلى المصاديـق مـن الخلافـة الالهيـة وارقـى درجـات الكـمال, قابلياتـه هـذه تقـترن بـالارادة الحـرة والاختيـار الحـر والاسـتطاعة والقـدرة عـلى تحديـد نـوع الطريـق الـذي يسـلكه, وتبعـاً لهـذه المؤهـلات جـرى عليـه قبـول التكليـف بالأمانـة الربانيـة ذلـك القبـول التكوينـي حـين اعرضـت عنهـا السـماوات والارضـين والجبـال, «ان السـماء والارض والجبـال تمتلـك نوعـاً مـن المعرفـة الإلهيـة, فهـي تذكـر اللـه جـل وعلا وتسـبحه وتخضـع لعظمتـه وتخشـع لهـا وتسـجد, إلا أن ذلـك كلـه تكوينـي واجبـاري لذلـك ليـس فيـه تكامـل ورقـي, والموجـود الوحيـد الـذي لا ينتهـي منحنـى صعـوده ونزولـه وهـو قـادر عـلى ارتقـاء قمـة التكامـل بصـورة لا تعـرف الحـدود ويقـوم بـكل هـذه الاعـمال بإرادتـه وإختيـاره هـو الإنسـان»[٠٣].

اذ لا يكـون للجـبر مدخليـة في تحديـد شـقاء الانسـان وسـعادته في دار الدنيـا أو دار الآخـرة لأنهـما ينسـجمان ومكتسـباته الذاتيـة التـي تنبـع مـن قابلياتـه وادراكاتـه بمحـض الحريـة والارادة التامـة عـلى العكـس تمامـاً مـما يتبنـاه الأشـاعرة بـأن اللـه جـل وعـلا جـارٍ في حكمـه التـام عـلى بعـض البـشر

بأنه سعيد والآخر بأنه شقي مع عدمية تغيير حكمه تعالى بصورة مطلقة بدلالة قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴾[١٣]. حيث يذكر الفخر الرازي «من حكم الله عليه بحكم امتنع كونه بخلافه وإلا لزم ان يصير خبر الله كذباً وعلمه جاهلاً وذلك محال, فثبت أن السعيد لا ينقلب شقياً وأن الشقي لا ينقلب سعيداً»,[٢٣] فمن الواضح ان هذا الاعتقاد بالشقاء هو نتيجة الاعمال الكسبية التي يقومون بها في دار الدنيا ولو كان كما يقول الفخر الرازي لما ورد في موضع آخر من قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴾[٣٣] فيتضح هنا ادراكهم علّية هذا الشقاء الذي هو ناجم عن تلك الاعمال الدنيوية وما كسبوه بملء الحرية والارادة والاختيار, وان كانت البشرية محكومة بالشقاء والسعادة وبالأخذ خارج نطاق الارادة بالحسنات أو السيئات فحين ذلك تكون كل مفاهيم التزكية والتربية والتعليم مجرد لغواً بدون ادنى فائدة, وأضف إلى ذلك ارسال الأنبياء والرسل ومعجزاتهم والكتب السماوية دون فائدة أيضاً او بمعنى آخر قد يكون ظلماً[٤٣].

وعلى هذا فإن ملازمة الشقاء والسعادة الذاتيين للبشرية مما لا انطباق له في القرآن الكريم, بل ان محور ذلك يرتبط بما تقوم عليه من عقائد مقترنة بأعمال صالحة أو طالحة في الدنيا, وتبقى آثار الهداية العامة منه جل وعلا بالهداية التكوينية وما افرزه للعباد من المهام والمسؤوليات وما يتلقونه من ابواب الهداية التشريعية وأجزائها التي تمكنهم من الوصول الى الهداية الخاصة والحصول على الفيوضات الربانية بالإمداد الغيبي, وفي الإعراض عن الهداية العامة وتركها والخروج على اصولها تتكون الحجب والعوائق في طريق الكمال والترقي في درجاته.

ويتضح لنا أبرز وأهم ما ينضوي في حدود المسؤوليات الذاتية والتي تحدد مصير الناس هي قابلياتهم واستعداداتهم؛ لأن كل المسببات والمؤثرات التي تعترض الانسان رغم عظم بعضها إلا أنها من غير الممكن ان تكون لها دخالة في انعدام الجوانب الاختيارية له, وبإدراكه هذا سيمكن له ان ينال الكثير من الفرص ليتجاوز الحجب والموانع التي تحول دون طريقه في درجات الكمال ومراتبه وفقاً لما يتمتع به من قوى وقابليات غير محدودة ويرى حينها ان كل هذه الحجب في جانب والحجب الأهم في جانب آخر والمتمثلة في ذاته وقابلياته التي تكون متعددة وفقاً لواقعه الذي يعيشه.

المطلب الثاني

آثار الغفلة

ان البعض من الناس وعلى الرغم من توافر الأدوات المعرفية والفكرية لديهم

وما يؤهلهم الى السير في المسيرة التكاملية يُلاحظ فيهم ذلك الإبتعاد الكبير عن الله جل وعلا, ومع ادراكهم تعاليم الدين واحكامه إلّا أننا لا نجد فيهم اواصر الاشتياق والانجذاب نحو التكامل, وهذه الحالة التي يمر بها الانسان اطلق عليها القرآن الكريم اسم (الغفلة) في قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [٥٣] التي هي في حقيقتها: «هي حالة انعدام التوجه الى المقصد الحقيقي للإنسان وهو الله تعالى والانشغال بغيره»[٦٣]. أو «هي فتور النفس عن الالتفات والتوجه الى ما فيه غرضها ومطلبها, إما عاجلاً أو آجلاً»[٧٣].

وهذه الغفلة في معناها الدقيق والواضح يتمثل في غفلة الانسان عن هويته الانسانية السامية, فمن المعلوم ان هنالك بُعد مشترك بينه و بين سائر المخلوقات وخاصة الحيوان, والغفلة لا تكون في تحديد هذا البعد وادراكه وتجنبه فقط بل ان جلّ الاهتمام يكون محدود به, رغم ان هناك ابعاد أخرى لا يمكن المقارنة فيها بين الانسان وسائر المخلوقات, ومنها التكاليف التي تقع على عاتق الانسان والتي تمهد لترقيه في مراتب الكمال وقربه من الله جل وعلا وانطباق سمة الخلافة الالهية عليه التي يتعلق بها بحسب طبيعته الانسانية.

ومن المعلوم اجمالاً ان الإنسان يمتلك حقائق جمّة اذا ما عُني بها وأنماها فإنها تؤدي إلى رقيه وتكامله, وعلى نحو آخر فإن اهمالها يفضي إلى تسافله وانحداره, وأن التكامل الذي يناله الإنسان يكون من نتيجة اهتمامه بهذه الأبعاد وخاصة التكاليف, ولا يتمكن أي من المخلوقات الأخرى ان يبلغ هذه المراتب التكاملية, فمهما تكون هذه المخلوقات ذات قدرة عقلية ولها كمية فائقة من الذكاء والتعلم الا إنها تبقى بمسافات بعيدة عن هامة الكمال الانساني, وفي ما يقابل ذلك فالانسان يمتلك ايضاً القدرة على التسافل والإنحدار ما لا يملكه أي مخلوق آخر, فما من مخلوق يستحق ان يخلد في النار وان يعذب الى ابد الدهر نتيجة تسافله وعدم تكامله.

وهذه هي هوية الانسان وطبيعته التي جعلته في هذه الدرجات التكاملية او التسافلية, فإن غفل عن هذا البعد في طبيعته واعطى الأولوية للبعد المشترك مع سائر المخلوقات فقد تنزّل بنفسه الى مستواها الفكري, فالنوم والأكل والشهوة هي صفات مشتركة ومن لم يضع نقاطاً تفاضلية تميزه عنها فقد تشابه معها, وقد قال جل وعلا في كتابه الكريم في وصف ذلك: ﴿ أُولَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾[٨٣], لذا فإن هذا البعد المشترك من الواجب ان يتخذه انسان طريقاً ليبلغ الكمال وان لا يغفل عنه ويكرسه لخدمة أبعاد أخر[٩٣].

ونتيجة الغفلة هذه والرؤية والأفق

الضيق كانت انعدام الرجاء والانكار بلقاء الله جل وعلا والرجوع إليه بالمعاد يوم القيامة والاهتمام بالدنيا وزينتها فقط؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾[٤٠]، «وبإنكار البعث والمعاد ينعطف همُّ الانسان على الحياة الدنيا, فإن الانسان وكذا كل موجود ذي حياة له هم فطري ضروري في بقاءه وطلب لسعادة تلك الحياة, فإن كان مؤمناً بحياة دائمة تسع الدنيوية والأخروية معاً فهو, وإن لم يذعن إلا بهذه الحياة المحدودة الدنيوية علقت همته الفطرية بها, ورضي بها وسكن بسببها عن طلب الآخرة»[١٤].

و ان الغفلة من دواعي ابتعاد الانسان عن استحقاق مرتبة القرب الالهي واللقاء مع الله جل وعلا؛ ذلك أن الطريق الى هذه الدرجة وبلوغ هذه المنزلة والمقام الرفيع لا يتمكن منه كل انسان إلا في ظلال معرفته وتذكره وتفكره وادراكه للوعي التام في الترابط مع المبدأ[٢٤]. وفي ذلك ما ورد عن امير المؤمنين عليه السلام قوله في مناجاته: «إلهي إن غلبتني الغفلة عن الاستعداد للقائك, فقد نبهتني المعرفة بكرم آلائك»[٣٤].

«ان الغفلة والكسالة عمّا ينبغي تحصيله من امور الدنيا والدين توجب الحرمان عن سعادة الدارين, وتؤدي الى شقاوة النشأتين, إذ الاهمال في رعاية أمر المعيشة ومصالحها يؤدي الى هلاك الشخص وانقطاع النوع, والغفلة عن اكتساب المعارف والاخلاق الفاضلة وعن أداء الفرائض والنوافل تنجر الى إبطال غاية الإيجاد في بلوغ كل شخص كماله المستعد له, وهو مع كونه صريح المضادة والمنازعة لخالق العباد يوجب الهلاكة والشقاوة أبد الآباد»[٤٤].

وتنشأ الغفلة عن ضعف في درجات إيمان الانسان وفتوره في أداء العبادات وما شرّعه الله جل وعلا أو لضعف العقيدة, يقول السيد الخميني في هذا الصدد: «هل تعلم المسوغ لفتورنا هذا في الأمور الدينية؟ إنه لأجل عدم إيماننا بالغيب, وأن مرتكزات عقائدنا واهية, وإيماننا بالوعود الالهية والأنبياء مهتز ومتزلزل, وتكون النتيجة ان جميع الأمور الدينية والشرائع الإلهية عندنا تافهة وموهنة, ويفضي هذا الوهن شيئاً فشيئاً الى الغفلة فإما أن تهيمن علينا هذه الغفلة وتخرجنا كلياً من هذا الدين الشكلي الصوري الذي نعتنقه, أو تبعث على الغفلة لدى أهوال نزوع الروح وشدائد اللحظات الأخيرة من حياة الانسان»[٥٤].

وقال امير المؤمنين (عليه السلام): «استعينوا على بعد المسافة بطول المخافة, فكم من غافل وثق لغفلته وتعلل بمهلته, فأمل بعيداً وبنى مشيداً, فنقص بقرب أجله بعد أمله, فاجأته منيته بإنقطاع أمنيته, فصار بعد العز

والمنعة والشرف والرفعة مرتهناً بموبقات عمله»[٦٤]. وقال (عليه السلام) ايضاً في وصف الغافل: «وهو في مهلة من الله, يهوي مع الغافلين, ويغدو مع المذنبين, بلا سبيل قاصد, ولا إمام قائد, حتى غذا كشف لهم عن جزاء معصيتهم, واستخرجهم من جلابيب غفلتهم, استقبلوا مدبراً, واستدبروا مقبلاً, فلم ينتفعوا بما أدركوا من طلبتهم, ولا بما قضوا من وطرهم»[٧٤].

المطلب الثالث:

التلوث القلبي

مما لا شك فيه ان الهداية الالهية للكمال والرفعة من المحال ان تلامس القلب الملوث بالكبائر من الذنوب والمعاصي؛ لأن تناسبه يكون عكسياً وفقاً لما هو مطلوب منه في سلّم الكمالات, وعندها تكون قابلياته في غير موضعها لأن هذه الذنوب والخطايا والمعاصي تُكوّن حجباً لا تمكنه من نيل مطالب الادراك والمعرفة. قال تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾[٨٤].

ولما كان قلب الانسان في أصله المتجذر نورانياً ويملك القابلية والاستعداد لقبول السمات والصفات النورانية التي تجعله في درجات الكمال فإن هذه الذنوب بدورها تشكل الحجب الظلمانية على القلب تحول دون خرقهِ للحجب النورانية للذات المقدسة, وقد ورد عن الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) في ما اوصى به هشام ابن الحكم «يا هشام أوحى الله الى داود: حذّر وأنذر أصحابك عن حب الشهوات, فإن المعلقة قلوبهم بشهوات الدنيا قلوبهم محجوبة عني»[٩٤], اي قلوبهم مستورة عن كشف سبحات وجهي وجلالي وإشراق أنوار عظمتي وعرفان دلائل ألوهيتي وجمالي, وممنوعة عن حصول العلوم الحقيقية فيها لحلول محبة زخارف الدنيا فيها وتعلقها بها[٠٥].

و قال الصادق (عليه السلام): «اذا اذنب الرجل خرج من قلبه نكتة سوداء فإن تاب انمحت»,[١٥] وقال عليه السلام ايضاً«كان أبي عليه السلام يقول: ما من شيء أفسد للقلب من الخطيئة وإن القلب ليواقع الخطيئة فما تزال تغلب عليه فيصير أسفله أعلاه وأعلاه أسفله»[٢٥].

ان أثر الذنب القبيح كالدخان الاسود المتصاعد الى القلب المتسم بالنقاء يتراكم فوقه تدريجياً الى أن تكون صفته السواد والظلام حتى يحجب كلياً عن الله تعالى وفي هذه التراكمات يطبع على القلب ويعمى عن معرفة الحق وسبيله وتطغى عليه التعلقات الدنيوية فيصير جل اهتمامه نحوها ولا يقرع أسماعه سواها ولا يبقى فيه أثراً نحو الآخرة ومسالكها, وذلك ما اشار إليه قوله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾[٣٥], ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾[٤٥], ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا

كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾[٥٥], والمعلوم ان من معاني الرين هو «الصدأ الذي يعلو فوق الشيء الجليل»[٦٥] ولما كان القلب هو مركز الاحاسيس والعواطف في الانسان لذا فإن للذنوب والمعاصي نقوشاً وهيئات صورية في القلب تمنعه من ادراك الحق كما هو عليه وتحجبه عنه كما ان هناك نهي عن اكتساب الذنوب والمعاصي التي تحول بين القلب وإدراكه للحق وبالتالي تكون النتيجة هي الحرمان من كرامة التكامل ومنازل القرب الالهي[٧٥], «ان مقتضى ادراك الحق بالاقتضاء الكامل والادراك الكامل موجود في النفس غير أنه تحول وهبط دون ذلك لمكان الموانع والحجب لا محالة, كالاهتمام بأمور الدنيا ورين القلب وغيره.... وهناك دلالة ايضاً على ان الطبع الأولي في خلقة الانسان هو عدم الحجاب عن الحق وانما يحصل الحجاب نتيجة للرين الذي يحصل نتيجة للذنوب والأعمال السيئة التي تحصل نتيجة أوامر النفس الأمارة بالسوء واتباع الهوى»[٨٥].

ولما كانت معرفة القرآن الكريم هي من اهم مصاديق الشروع في الكمالات والرفعة؛ لذا فإن وجود الحجب بين قلب الانسان ومعرفة القرآن الكريم والتدبر فيه مما يؤدي الى الطبع عليه والقفل نتيجة للمعاصي والذنوب وتلك الحجب الظلمانية التي يتلوث بها قلبه وهي من الموجبات في عدم تقبله للحق, قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[٩٥], فالصفات الوجودية السامية هي مفاتيح القلوب التي تنشرح بها وتمكنها من الاستنباط والتدبر في القرآن الكريم, ولولا تلك الحجب لما وجد الحائل بين الانسان وتلك الاوصاف الرفيعة للكمالات, ولهذا فإن ما يراد في الآية الكريمة ان الموانع والحجب التي تتكون على القلب نتيجة الذنوب تحول دون التدبر في القرآن الكريم, وهذه الموانع القلبية تقوده نحو الانحدار تسافلاً لا ارتفاعاً وترقياً في معارف القرآن الكريم[٠٦].

ومن المعلوم ان هناك مراتباً متعددة من الحجب القلبية وحسب ما تكون عليه من الغلظة والرقة, وبما يتناسب مع نوع الاعمال الفاسدة والاعتقادات المنحرفة التي تضفي على القلب هذه المراتب, فمن ادناها مرتبة ورقّة هو الرين على القلب الى اغلظها واكثفها الذي هو الطبع على القلب, وبالختم يكون آخر مراتب الحجب الغير قابلة للصلاح, وبالإقفال مع الختم انتهاء انعقاد الأشياء في الحفظ[١٦].

وفي قوله تعالى: ﴿ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾[٢٦], يذكر العلامة المجلسي: «يتضح أثر تراكم الذنوب في الطبع على القلب, وعند ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق وصلاح الدين ويستهين بالآخرة ويستعظم أمر الدنيا ويصير مقصوراً

عليها, فإذا قرع سمعه أمر الآخرة وما فيها من أخطار دخل من أذن وخرج من الآخرى ولم يستقر في القلب ولم يحركه التوبة والتدارك»[٣٦].

وقال امير المؤمنين (عليه السلام): «لاوجع أوجع للقلوب من الذنوب»[٤٦]. حيث ان كل الأوجاع والآلام التي تُفرض على الانسان لا توجب الابتعاد عن مدارج الكمال ومراتبه إلا ما كان منها الذنوب والمعاصي في الاعمال والعقائد وكل الأوجاع لا يتوجب بها موت القلب أو قساوته واسوداده إلا ماكان منها في الذنوب[٥٦]. بل على العكس من ذلك أنه قد ينال اعلى المراتب بتحمل المشاق والآلام من المرض وغيره كما ذكر القرآن الكريم ما كان من شأن أيوب (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[٦٦]، و يعقوب (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾[٧٦].

ومما يحجب مراتب الكمال والسير فيها هو مخالطة ومعاشرة أهل الفسق والذنوب, فهذه تجعل من القلب يتجرأ على المعاصي ويأتلف معها وينجر إليها دون شعور, قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «قال عيسى ابن مريم للحواريين: تحببوا الى الله وتقربوا إليه, قالوا: ياروح الله بماذا نتحبب الى الله ونتقرب؟ قال: بغض أهل المعاصي والتمسوا رضا الله بسخطهم, قالوا: يا روح الله فمن نجالس إذاً؟ قال: من ذكركم الله رؤيته ويزيد في عملكم منطقه ويرغبكم بالآخرة عمله»[٨٦].

اضف الى ذلك ان أعمال السوء والمنكرات ليس هي وحدها ما يؤثر في القلب ويكون الحجب في طريق تكامل الانسان, فمما تقدم يظهر ان هناك عوامل ومسببات أخرى لها آثار سلبية, منها محيط الإنسان وبيئته ومعاشرته, فمن الخطأ ان ينفي الانسان أثر هذه المعاشرة؛ لأن الروح الإنسانية في طبيعتها الشفافة تكون سريعة التأثر والتأثير بجريان التغيرات داخلها من دون وعيها أو شعورها بتلك التغيرات والتحولات لإمتناع ظهور الاعراض المباشرة كما يحصل في الأبدان, و يتمكن الفرد حينها من موازنة تلك التغيرات النفسية لعدم وجود مسائل معرفية لثقل الروح وخفتها كما يحصل في الأبدان, يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «مجالسة أهل الهوى منساة للإيمان ومحضرة للشيطان»[٩٦], وهنا يتبين نطاق مفعول المعاشرة والمخالطة لأهل السوء والعصيان على الإنسان في كونها حجاباً في طريق الإيمان الذي هو من اسمى شروط الكمال.

المطلب الرابع:

حب الذات

ان مما جبل عليه الانسان ولا يمكن انكاره هو اهتمامه بنفسه وحبه لها, لكن فيما يكون فيه عدم تجاوز الحدود

المقدرة لذلك في تصديقه لها فقط, فإن الشرع قد قرن بين حب الإنسان لنفسه وافاضتها بذلك الحب على الغير؛ لذا فقد اعتبر من اهم وسائل بلوغ الكمالات افاضة الحب على الآخرين وإن الحب اوسع من يتواجد في نفس الانسان وحده؛ لقول رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[٥٧].

كما ان ارفع موارد الخير واعلى مراتب الكمال عند الذات الانسانية هو وجودها, وديمومة الحفاظ على كيانها وترقيها في الدرجات الكمالية من الرفيعة الى الأرفع, وذلك هو سبب طلب العلم والسعي في تحقيق الرزق والاموال وغيرها من موارد الراحة وما يؤيد وجودها, والتي بواسطتها يتخيل لها ان سموها وكمالها فيها؛ لذلك فإنها قد تتحمل الكثير من المصاعب والمتاعب وشتى أنواع الآلام في طريقها للحصول على هذه المغانم العظيمة – بإعتقادها- والتي تحبها وتتعلق بها حتى لو ادى ذلك الى التضحية بالنفس في سبيل هذه الاهداف والمغانم[١٧], وفي ذلك قال امير المؤمنين (عليه السلام): «من عشق شيئاً أعشى بصره, وأمرض قلبه, فهو ينظر بعين غير صحيحة, ويسمع بأذن غير سميعة, وقد خرقت الشهوات عقله وأماتت الدنيا قلبه, وولهت عليها نفسه, فهو عبد لها ولمن في يده شيئاً منها»[٢٧]. وفي ما يقابل سلم الكمالات والدرجات الرفيعة والتي يكون فيها الانسان في أتم حالات التسليم لله جل وعلا وكل ما لديه من قبل فيوضاته وتوفيقه, نرى ان هناك انحداراً الى ادنى الدركات التي يؤول إليها حال الانسان والتي يريد فيها ان تكون كل الموجودات خاضعة لإرادته, وفي ذات الوقت لا يكون تابعاً لأي شيء ولا يستمع إلا لما تمليه عليه شهواته التي يحاول جاهداً لإشباعها ويصل مع حب ذاته لعبادتها, ويذكر القرآن الكريم نموذجاً بارزاً للتمادي وهو حال فرعون حين ادعاءه للربوبية بقوله تعالى: ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[٣٧], ففي قصته التي وردت في القرآن الكريم دلالة كبرى على مدى تأثير غرور الانسان وشهواته على ذاته وانكاره للحقيقة بدوافع عديدة أهمها حبه لذاته.

وهناك صفات متنوعة تتفرع من حب الذات حيث يذكر صاحب الأمثل صفة من هذه الصفات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾[٤٧], بقوله في وصف الهلع «إن هذه الصفة فرع من فروع حب الذات, وحب الذات غريزة توصل الانسان الى الكمال, ولكن اذا انحرفت في مسيره فإنه يجره الى الحسد والبخل والى غير ذلك».[٥٧]

وقد عبر القرآن الكريم عن الانسان بتعابير مختلفة, فذكره بأنه بشر في مواضع, وفي أخرى بني آدم, لكن التعبير

عنه بالانسان غالباً ما يقترن بالصفات الذميمة والرذيلة, فنعته بالضعف كقوله تعالى: ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾[٦٧], وبالظلم والكفر في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[٧٧], وبالبخل والعجلة في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴾[٨٧], وقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾[٩٧], وغيرها الكثير من الصفات الأخرى التي لا مجال لحصرها كالجدال والطغيان والجزع, فهل من الممكن ان يكون هذا الانسان هو ذاته الذي خلقه الله جل وعلا في أحسن خلقة وتقويم وعلمه ما لم يعلم مخلوقاً آخر سواه وفضله حتى على الملائكة وأرشده الى سبل الكمال؟ بكل تأكيد إن هذه الصفات هي تخص من سار خلف شهواته وارتكز على حب ذاته ونفسه ولم يستفد من ارشاد الانبياء والرسل والقادة الالهيين, فمن الطبيعي جداً أن يسخر حب الذات في طرق الانحراف والخطيئة وستظهر هذه الصفات في نهاية المطاف جليّة وواضحة للعيان فيما تكون حجاباً للفيوضات الالهية للسير في مراتب الكمال والوصول الى مرتبة الآدمية التي يكون حينها متشرفاً بإطلاق القرآن الكريم عليه بأنه بني آدم, وماهي إلا نتاج حركته التكاملية في مسيرة القرب الالهي وتفضيله على الكثير ممن خلق جل وعلا[٨٠].

لذا فإن حب الذات تعتبر من اعظم المشاكل التي تعاني منها البشرية منذ بدء الخليقة؛ لأنها تؤدي بصاحبها إلى ارتكاب الجرائم والموبقات, فهي تتجسد في الصفات التي مر ذكرها والتي فيها تفضيل مصلحته الخاصة على المصلحة العامة وهذا ما يحجب عنه فيوضات الهداية والكمال, وقد ذكر القرآن الكريم خطر هذه الصفة الاخلاقية الذميمة وما ينتج عنها من كبائر الذنوب في قوله تعالى: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[١٨], فحب الذات والنفس وإطاعتها في ارتكاب جريمة القتل وسببه الذي تجسد بصورة الحسد المستعر فيها هو الذي طوع نفس قابيل بقتل أخيه, وهذه العملية (أي عملية التطويع) مع اقتصارها على المعنى المذكور فيها إلا أنها من غير الممكن ان تتم في لحظة واحدة, وانما تتحصل بشكل تراكمي عبر الصراعات النفسية المتنوعة تدريجياً وليس في آن واحد[٢٨].

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة الموجزة وما تطرق له هذا البحث في ذكر مقتضب لأهم الحجب والموانع التي تقف عائقاً في طريق الانسان ومسيرته نحو الكمال يمكننا ان نوجز ما تسنى لنا تحصيله من نتائج من خلال استعراض آيات الذكر الحكيم والروايات وآراء العلماء والفلاسفة والمفسرين ومن كلا الفريقين بالنقاط التالية:

١- ان أولى الحجب والعوائق في طريق الانسان نحو التكامل هي نفسه

فالكثير من هذه الحجب هي مرجعها الانسان ذاته.

٢- قابليات الانسان واستعداداته في اهمالها واستخدامها في غير موضعها المقرر لها فمن المؤكد انها تكون حجاباً بينه وبين ما يسمو إليه في السير الالهي في طريق الكمال.

٣- في غفلة الانسان عن الحق تعالى والاهتمام الفارغ بالدنيا وزينتها وتركه للهدف الاسمى من خلقه يوصله بالتالي الى اسفل الدركات وحيله الى مرتبة البهائم.

٤- القلب الذي يكون بؤرة للذنوب والمعاصي من غير الممكن ان تلامسه الهداية الالهية ويكون في الطريق الصحيح.

٥- حب الانسان لذاته وتفضيله لمصلحته الخاصة وميوله ورغباته دون المصلحة العامة من أهم الحجب التي تكون في طريق الكمال.

ومن التوصيات التي يوصي بها البحث:

١- التوسع في التأليف والدراسة ولا سيما الرسائل والاطاريح في المواضيع التي تختص في مضمون البحث من الرفعة والكمال والسلوك في درجاتهما.

٢- ولأن البحث تناول اهم الحجب وافرد اربعة منها فقط (لقصر حدوده) فلا بأس بالكتابة في الحجب الاخرى والتي تعود على ذات الانسان نفسه أو ما يؤثر فيه من عوامل خارجة عن إرادته.

٣- تسليط الضوء على الجانب النفسي والاجتماعي وخاصة في قابليات الانسان وميوله ورغباته من لما له من أثر بالغ الأهمية في تكوّن الحجب والموانع في طريقه نحو الكمال.

الهوامش:

١-المجلسي, مرآة العقول في شرح اخبار الرسول: ج ٩, ص٧١.
٢-ابن فارس, مقاييس اللغة: ج٢, ص١٤٣.
٣-ابن منظور, لسان العرب: ج٢, ص٧٧٧.
٤-الفراهيدي , العين: ج١, ص٢٨٦.
٥-سورة ص: ٣٢.
٦-سورة الاعراف: ٤٦.
٧-ينظر: الطريحي, مجمع البحرين: ج٢ ص ٣٤.
٨-سورة الاسراء: ٤٥.
٩-ينظر:الواحدي النيسابوري, التفسير الوسيط:ج٣, ص ١٠٩-١١٠.
١٠- المصطفوي, التحقيق: ج ٢, ص ١٩٦.
١١- انيس المعجم الوسيط: ج١, ص ٣٠٧.
١٢- ينظر: الخوري, اقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد: ج٢, ص٣١٣.
١٣- ينظر: الصدر, حب الذات وأثره في السلوك الانساني: ص٤٧.
١٤- الراغب الاصفهاني, المفردات في غريب القرآن: ص١٨٢.
١٥- الفراهيدي, العين: ج٤ ص٤٧.
١٦- ينظر: الفيومي, المصباح المنير: ص٢٧٩.
١٧- ينظر: الراغب الاصفهاني, المفردات في غريب القرآن: ص٤٤١
١٨- ينظر: الحلياوي, الامام علي مثال الكمال الانساني: مقال منشور في شبكة الانترنت على الرابط: https://dr-nabeel-h.com/Blog-Post?id=23
١٩- المصطفوي, التحقيق: ج١٠, ص١٢٦.
٢٠- العايد ,المعجم العربي الاساسي: ص ٩٦٥.
٢١- الصدر, ما وراء الفقه: ج١, ص١١٤.
٢٢- سورة التين: ٤-٥.
٢٣- سورة الاسراء: ١٧.
٢٤- سورة المؤمنون: ١٤.
٢٥- من التعابير الفلسفية التي يعبر بها عن مسار نشأة الخلق, فقوس الصعود: الحس والتعقل والاشراق والكشف والشهود, وقوس النزول: العوالم الجسمانية والروحانية. ينظر: عوالم الانسان ومنازله, الشيخ محمد السند: ج١, ص٥٥.
٢٦- ينظر: مكارم الشيرازي, الامثل: ج٣, ص٣٢٩.
٢٧- سورة الانشقاق: اية ٦.
٢٨- الصدر, منة المنان: ج٤, ص٦٣.
٢٩- سورة الاحزاب: ٧٢
٣٠-مكارم الشيرازي , الامثل: ج٢٠, ص٤٤٢.
٣١- هود: ١٠٥.
٣٣- الفخر الرازي, التفسير الكبير: ج١٨, ص٢٩٩.
٣٣- سورة المؤمنون: ١٠٦.
٣٤- ينظر: مكارم الشيرازي, الامثل: ج١١, ص١٤٨.
٣٥- سورة الروم: ٧.
٣٦- مركز نون للتأليف والترجمة, دروس في التربية الاخلاقية: ص١٦٢.
٣٧- النراقي, جامع السعادات: ج٢, ص٢٨٤.
٣٨- سورة الاعراف: ١٧٩.
٣٩- ينظر: المصباح اليزدي, السير الى الله: ص٩٣_٩٤.
٤٠- سورة يونس: ٧.
٤١- الطباطبائي, الميزان: ج١٠, ص١٤.
٤٢- ينظر: مكارم الشيرازي, الاخلاق في القرآن: ج٢, ص٣٢٣.
٤٣- المجلسي, بحار الانوار: ج٩١, ص٩٩.
٤٤- النراقي, جامع السعادات: ج٢, ص٢٨٥.
٤٥- الخميني, الاربعون حديثاً: ص٥٥٣.
٤٦- المجلسي, بحار الانوار: ج٧٤, ص٤٤٠.
٤٧- الدشتي, نهج البلاغة: ص١٤١.
٤٨- سورة البقرة: ١٠.
٤٩- النمازي, مستدرك سفينة البحار: ج٣, ص٩٤.
٥٠- ينظر: المجلسي, بحار الانوار: ج١, ص١٥٤.

٥١- الريشهري, ميزان الحكمة: ج٩, ص٢٣٨.
٥٢- ابن بابويه, الامالي: ص٤٨١.
٥٣- سورة النحل: ١٠٨.
٥٤- سورة البقرة: ٧.
٥٥- سورة المطففين: ١٤- ١٥.
٥٦- الراغب الاصفهاني, المفردات في غريب القرآن: ص٢٠٨.
٥٧- ينظر: الطباطبائي, الميزان: ج٢٠, ص٢٣٤.
٥٨- الصدر, منة المنان: ج٤, ص٢٢٤.
٥٩- سورة محمد: ٢٤.
٦٠- ينظر: الجوادي الآملي, علي بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم: ج١, ص٧٠.
٦١- ينظر: الاملي, جامع الاسرار ومنبع الانوار: ص٥٧٣.
٦٢- سورة الاعراف: ١٠٠.
٦٣- المجلسي, بحار الانوار: ج٧٠, ص ٣٢٨.
٦٤- القرائتي, الذنب اسبابه وعلاجه: ج١, ص ٢٧٦.
٦٥- ينظر: المازندراني, شرح اصول الكافي: ج٩, ص٢٥٥.
٦٦- سورة الانبياء: ٨٣.
٦٧- سورة يوسف: ٨٤.
٦٨- الحراني, تحف العقول: ص٢٣٧.
٦٩- الريشهري, ميزان الحكمة: ج١, ص٤٠٣.
٧٠- صحيح البخاري: كتاب الايمان: حديث ١٣.
٧١- ينظر: الصدر, حب الذات وأثره في السلوك الانساني: ص٧٣.
٧٢- الدشتي, نهج البلاغة: ص٩٩.
٧٣- سورة النازعات: ٢٤.
٧٤- سورة المعارج: ١٩-٢١.
٧٥- مكارم الشيرازي, الامثل: ج٢٨, ص٣٥٩.
٧٦- سورة النساء: ٢٨.
٧٧- سورة ابراهيم: ٣٤.
٧٨- سورة الاسراء: ١٠٠.
٧٩- سورة الاسراء: ١١.
٨٠- ينظر: مكارم الشيرازي, الامثل: ج,٥ ص٣٨٠-٣٨١.
٨١- سورة المائدة: ٣٠.
٨٢- ينظر: الطباطبائي, الميزان: ج٥, ص ٣٠٦.

المصادر:

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: الكتب

١- ابن بابويه, محمد بن علي, (٢٠٠٩م), الامالي: تقديم: حسين الاعلمي, ط١, بيروت, مؤسسة الاعلمي.

٢- ابن فارس, ابي الحسن احمد, (١٩٧٩م), مقاييس اللغة: تحقيق: عبد السلام هارون, ط١, بيروت, دارالفكر.

٣- ابن منظور, محمد بن مكرم, (١٩٩٤م), لسان العرب: ط٣, بيروت, دار صادر.

٤- الآملي, السيد حيدر,(٢٠٠٧م), جامع اسرار ومنبع الانوار: تصحيح: محسن عقيل, ط١, بيروت, دار المحجة البيضاء.

٥- انيس, ابراهيم, عبد الحليم منتصر, عطية الصوالحي و محمد خلف الله, (١٩٧٢م), المعجم الوسيط: ط٢, طهران, انتشارات ناصر خسرو.

٦- البخاري, ابو عبد الله محمد بن اسماعيل(٢٠٠٩), الجامع المسند الصحيح المختصر من امور رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسننه وأيامه: ط٦, بيروت, دار الكتب العلمية.

٧- الجوادي الآملي, عبد الله, (١٤٠٨هـ), علي بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم: ط١, مشهد, الاستانة الرضوية المقدسة.

٨- الحراني, ابو محمد الحسن بن علي, (٢٠٠٢م), تحف العقول عن آل الرسول: ط٧, بيروت, مؤسسة الاعلمي.
٩- الخميني, روح الله الموسوي, (٢٠١٠م), الاربعون حديثاً: تعريب: محمد الغروي, ط١, بيروت, دار زين العابدين.
١٠- الخوري, سعيد, (١٤١٦هـ), اقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد: ط١, طهران, دار الاسوة.
١١- الدشتي, محمد, (١٤٣٤هـ), نهج البلاغة: قم, مؤسسة النشر الاعلامي.
١٢- الراغب الاصفهاني, الحسين بن محمد, (٢٠١٥م), المفردات في غريب القرآن: تحقيق محمد سيد كيلاني, ط٧, بيروت, دار المعرفة.
١٣- الريشهري, محمد, (٢٠٠١م), ميزان الحكمة, ط٢, بيروت, دار الحديث.
١٤- السند, محمد, (٢٠١٠م), عوالم الانسان ومنازله: تحقيق: ابراهيم حسين البغدادي, ط١, بيروت, دار الاميرة.
١٥- الصدر, محمد محمد صادق, (١٤٢٨هـ), ما وراء الفقه: بيروت, دار حضارة اكد.
١٦- الصدر, محمد محمد صادق, (٢٠١١م), منة المنان في الدفاع عن القرآن: ط١, قم, المحبين للنشر والطباعة.
١٧- الصدر, محمد محمد صادق, (٢٠١٣م), حب الذات وأثره في السلوك الانساني, ط١, بيروت, دار البصائر.
١٨- الطباطبائي, محمد حسين, الميزان في تفسير القرآن: قم: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية.
١٩- الطريحي, فخر الدين, (١٣٧٥هـ), مجمع البحرين: تحقيق: احمد الحسيني, ط١, طهران, انتشارات مرتضوي.
٢٠- العايد, عبده, احمد مختار عمر, صالح جواد, الجيلاني بن الحاج يحيى و نديم مرعشلي, (٢٠٠٣م), المعجم العربي الاساسي:ط١, تونس, دار لاروس للطباعة.
٢١- الفخر الرازي, محمد بن عمر بن الحسن, (١٩٨١م), التفسير الكبير: بيروت, دار الفكر.
٢٢- الفراهيدي, الخليل بن احمد, (٢٠٠٣م), كتاب العين: تحقيق: عبد الحميد هنداوي, ط١, بيروت, دار الكتب العلمية.
٢٣- الفيومي, احمد بن محمد, (١٩٧٧م), المصباح المنير: ط٢, القاهرة, دار المعارف.
٢٤- القرائتي, محسن, (٢٠٠٥م), الذنب اسبابه وعلاجه: ط١, بيروت, دار الاميرة.
٢٥- المازندراني, محمد صالح, (٢٠٠٨م), شرح اصول الكافي: تحقيق: علي عاشور, ط٢, بيروت, دار احياء التراث العربي.
٢٦- المجلسي, محمد باقر, (١٣٧٠هـ), مرآة العقول في شرح اخبار الرسول: ط٣, طهران, دار الكتب الاسلامية.
٢٧- المجلسي, محمد باقر, (١٩٨٣م), بحار الانوار: ط٣, بيروت, دار احياء التراث العربي.
٢٨- مركز نون للتأليف والترجمة, (٢٠١٤م), دروس في التربية الاخلاقية: ط١, بيروت, جمعية المعارف الاسلامية الثقافية.
٢٩- المصباح اليزدي, محمد تقي, (٢٠٠٩م), السير الى الله: ط٢, بيروت, دار الولاء.
٣٠- المصطفوي, حسن, (١٣٩٣هـ), التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ط١, طهران, مركز نشر آثار العلامة المصطفوي.

٣١- مكارم الشيرازي, ناصر, (١٤٢٦هـ), الاخلاق في القرآن الكريم: ط٢, قم , مدرسة الامام علي ابن طالب(عليه السلام).
٣٢- مكارم الشيرازي, ناصر, (٢٠١٣م), الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ط١, بيروت, مؤسسة الأعلمي.
٣٣- النراقي, محمد مهدي, (١٤٢٨هـ), جامع السعادات: ط٧, قم , انتشارات اسماعيليان .
٣٤- النمازي الشهرودي, علي, (١٤١٨هـ), مستدرك سفينة البحار: تحقيق: حسن النمازي: ط٣, قم, جماعة المدرسين في الحورز العلمية.
٣٥- الواحدي النيسابوري, ابي الحسن علي بن احمد, (١٩٩٤م), الوسيط في تفسير القرآن المجيد: ط١, بيروت, دار الكتب العلمية.

ثالثاً: شبكة الانترنت

١-الحلياوي, نبيل طالب, (٢٠٢٠م), الامام علي مثال الكمال الإنساني: مقال منشور على شبكة الانترنت على الرابط https://dr-nabeel-h.com/BlogPost?id=٢٣